الطبيعة في شعر أمينةَ المريني

الباحث/ أحمد وصفي مهدي علي

تنعم بلاد المغرب بجمال ثرٍ وروعة آسرة جذَّابة، وبظلال وارفة وألوان ساحرة،فهي تتنفس بجو عبق عطر يُضاعف من روعتها وبهائها وسحرها وجمالها؛ ما يتخلل جنباتها من مواطن السحر، ومظاهر العُجب التي تبعث الانبهار والدهشة في النفوس. وقد انعكس ذلك في شعر شعراء المغرب بشكل عام، وفي شعر الزناتية أمينة المريني بشكل خاص، حيث ازدحم شعرها بصور متنوعة ملوِّنة تمثل البيئة الطبيعية في هذه الرقعةِ الجميلةِ والجذابةِ المُسماة ببلاد المغرب .

ومن هنا تشكلت صورة المغرب في أذهان شاعرتنا؛ فجاءت متقاربة في أوصافها وألوانها وقسماتها هذه الصورة في قصائدها ؛ فأخذت من عطرها وعبقها وملامحها وألوانها وجمالها ما يُحاكي نفسها التوَّاقة والمُحبَّة للطبيعة والحياة؛ فكانت أشعارها أقرب إلى لوحة فنية ناطقة، أو بستان زاهٍ أو حديقة غنَّاء أو واحة خضراء.

ولسنا نريد أنْ نتوسعَ في الحديث عن شعر الطبيعة، ولكنْ ينبغي أن نحدد مفهوم شعر الطبيعة ، ثم بعد ذلك نقف عند شعر أمينة المريني لمعرفة مدى تحقق ذلك العُنصر في إبداعها الشعري.

ومن الملاحظ أنَّ كلمة **الطبيعةِ** تبدو كلمة فضفاضة واسعة إذ تعرضت لكثير من التعريفات والدراسات منذ أقدم العصور ، ولعل غموض كلمة الطبيعة جعل تعريفها صعبًا على كثير من الدارسين والباحثين والنقاد ؛لاتساع مدلولاتها، فقد عرَّفها(أرنست فيشر: **ت ٧ فبراير١٩٨١) في كتابه ضرورة الفن** : "ونقصد بكلمة الطبيعة عملية الحركة الكونية التي تسير في الكون وهى عملية تشمل الإنسان ولكنها لا تكترث بنزواته أو تأثراته الذاتيّة أو تغيراته المزاجية " [١] .

بهذا التعريف وصف (أرنست فيشر) الطبيعة لكنَّ الطبيعةَ هنا لا تكترثُ بالإنسانِ وأعماله وفنونهِ، فهي تقف منه موقفًا سلبيًا، فالإنسان جزءٌ من الطبيعة لا يستطيع أنْ

(١) ضرورة الفنّ، أرنست فيشر ، ترجمة أسعد حليم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦، ص٦ .

ينسلخ عنها أو يتجاهلها ، فالشاعر أو الشاعرة كالفنان الذي يعيش حياته مع الطبيعة ، والشعر فنٌّ من الفنون ، فكُلّ إنسان يستطيع أن يمنح الحياة صورة ملائمة لمخيلته وعواطفه وخلجاته العامة، ومن خلال الكلمات والأحاسيس والمشاعر أي يستطيع الإنسان أنْ يقيمَ عَلاقة بينه وبين الطبيعة التي يتعايش معها، ويعيش فيها .

فلكلمة الطبيعة صداها ومقدرتها على خلق عالم ملائم للشاعر، فهي مهمة جدًا حيث" يرى فؤاد رفقة(١٩٣٠– ٢٠١١م) في كتابه الشعر والموت أنَّ :" كلمة الطبيعة بالدرجة الأوُلى تمنح الشيء الوجود " (١).

في حين يرى الدكتور محمد علي الهاشمي(ت: ٢٠صفَرَ١٤٣٧ه/ ٢ديسمبر ٢٠١٥م) أنّ : "عملية المنح من الكلمة تجعل الطبيعة تسير وفْقَ مُخيلة الفنانِ الذي حاكاها وصورها، فتصوير الطبيعة من الخارج هو أولى مراحل الملامسة ،أو هو أوّل مستويات الوعي وأقدمها، والطبيعة ظاهرة معزولة، أو غير معزولة، لكنْ بملامسة القشرة يبدأ الإحساس بالظاهرة، ومن ثَـمّ تبدأ أولى مراحل الدخول التفاعـل ، وتبدأ العَلاقة بين العلّـة والمعلول (الإنسان والطبيعة)، فانَّ انعكاس وجود الطبيعة، وهو حوار مع الذات الشاعرة وهمومها الأولى التي تجئ المرأة الشريك الأوّل في مقدمتها"(٢).

يقول الدكتور جودت الرِّكابي(١٩١٣–١٩٩٩م) : " إنَّ شعرَ الطبيعةِ هو الشعرُ الذي يُمثل الطبيعة ، وبعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالًا خيال الشاعر، وتتمثل فيه نفسه المرهفةَ وحبّه لها واستغراقه بمفاتنها" (٣).

ويقرر الركابي إنَّ : " (شعر الطبيعة) تعبير جديد في أدبنا جاءنا من الآداب الغربية... وكان من أهم مظاهر الحركة الإبداعيَّة الرومانسيَّة في أواخر القرن الثامن عشر.. والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفيَّة يحبونها لما تمنحه من جمال لحسَّهم وهدوء لنفوسهم، فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم " (٤).

---

(١) الشعر والموت ، فؤاد رفقة ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٦٥ .

(٢) دراسة فنية في شعر البحرين المُعاصر ، د/ محمد علي الهاشمي ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨١ ، ص٦٣ .

(٤) الطبيعة في الشعر الأندلسي ، د. جودت الرّكابي، ط٢، مطبعة الشرقي ، دمشق، سوريا، ١٩٧٠م ، ص٦٦.

(١) ،الطبيعة في الشعر الأندلسي ، د. جودت الركابي ص٦٧.

لقد تفاعلت الشاعرة أمينة المريني مع الطبيعة، وتأثرت بها؛ فشاطرها همومها، وشاركتها أشجانا وأحزانها وقاسمتها مشاعرها التي تفيض حبًّا وحنانًا، فاستعانت بصورها وقاموسها وألفاظها في شتى أغراضها الشعريَّة.

إنَّ ذلك التفاعلَ الحاصلَ بين الشعرِ المريني وبين المشهدِ الطبيعيِّ؛ يزيد من حيوية شعرها وقدرته على التأثير؛ لأنَّه يكون أكثرَ صدقًا في الإثارةِ والإقناعِ وفي البناءِ والصياغةِ.

فالشاعرة لم يتخذْ الطبيعة لذاتها مكتفية بوصفها ونقل محسوساتها الخارجية فحسب ، ولكنَّها اتخذت من الطبيعة بجزيئاتها ومظاهرها ومفاتنها عنصرًا مكملًا ومتداخلًا مع أشياء أخرى، فلم تتخذها مسرحًا، أو مكانًا للحدث وإنَّما جعلتها جزءاً منه؛ فأنطقتها وطبعت عليها صفاتٌ إنسانيَّةٌ ومنحتها حواسًا بشرية ، فهي ترى وتسمع وتشم،وهي تضحك وتبكي وتفرح وتتألم وتشتكي .

فالشاعرة تنظر إلى الطبيعة نظرةَ مُحبٍّ ، تمثل نفسها المحبة التي يتخللها جمال الطبيعة وجمال الإنسان.

فقد كانت الطبيعة عند أمينة المريني مستحوذةَ على حواسها، ولم تستطع أن تنساها أو تتناساها أو تجهلها أو تتجاهلها حتى في إبدعاتها الأخُرى .

لقد رأت أمينة في الطبيعة منابع البساطة الصافية، وخير ما يُمكِّن للإنسان أن يلوذ به ويتحلى بسماته، فنراها رسمت في قصيدة "المارد" صورةً للجمال والحرية والبساطة التي تملأ تفاصيل الطبيعة، وتفضل ذلك على بذخ القصور وترف الحياة الماديَّة، فتقول:[من الكَامِل]

أَنَا شَاعِرٌ صَاغَ الْإِلَهُ فُؤَادَهُ مِنْ نِسْمَةٍ رَفَّافَةٍ مُتَنَاهِيــه
فِي كُلِّ أُفْقٍ تَنْتَشِي مَحْــبُوْرَةً وَتَهِيْمُ فِي دُنْيَا الْأَمَانِي النَّائِيَه
وَأَنَامِلٌ تَهْدِي الظَّلُومَ أَرَاهِـــرًا رِيّا وَتَسلُبُنِي الشَّذَا وَضِيَائِيَه
طِرْ بِي إِلَى دُنْيَا تُطَهَّرُ مُهْجَتِي أَجْثُو وَأَعْلِنُ لِلْإِلَهِ وَلَائِــيَه[1].

[1] قصيدة (المارد) من ديوان "حُرَّة في ظلال الإسلام"، للشاعرة أمينة المريني، مجلة الفُرقان، المغرب ،العدد الواحد والأربعون، ١٤١٩ه،١٩٩٨م، ص ١٠٨.

لقد رأت المريني في الطبيعة الفطرة الأولى التي تحمل الحقيقة والنّقاء والصفاء، متجليةً ذلك بمفرداتها وصورها، سواء من حيث رقتها أو جزالتها وطريقة التصوير، وإطلاق الصفات على الأشياء.

لقد وجدتْ شاعرتنا في الطبيعة مهربًا لها من الحقد (القلى) ، وملاذًا أكثر خيرًا من البشر الذين تحيا معهم.

فالطبيعة عند المريني هي الفطرة الحقيقية وهي البساطة الصافية، والملاذ الأوسع الذي يبعد الإنسان عن شوائب الحضارة الماديَّةِ ودوائرها الضيقة.

الطبيعة المُتحركة والجامدة "الساكنة":

يقول الدكتور "جميل سعيد:" ونعني بالطبيعة هنا الطبيعة الحيَّة والطبيعة الصامتة: أما الطبيعة الحيَّة فيمثلها ما يطير في الجُو من طير وما يضطرب في أرضه من حيوان وحشي أو أليف، وأمَّا الطبيعة الصامتة فتمثل الطلل وما في الأرض من شجر وعشب، وما فيها من صحاري وجبال وشعاب ووديان" (١).

لقد استطاعت الشاعرة الزناتية (أمينة المريني) من خلال تلازمها مع طبيعة المغرب الساحرة أنْ تربط بين الطبيعة والإنسان المغربي، ذلك الرباط الروحي الذي

أصبحت الطبيعة معها تعبر بشكل أو بآخر عن هموم الإنسان، وهذا يعود للرؤية الفكريَّة والفنيَّة للشاعرة، ففي وعي الشاعرة لا تكون الطبيعة بعيدة جامدة، وإنّما هي ناطقةٌ معبَّرةٌ عنها ؛ إذ هي تكون أيضًا متميزةً بالنسبة للشاعرة جنبًا إلى جنب. فشجرة الزيتون والبحر والحجر والقمر والريح والزهور والشمس، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة والبيئة المغربيّة جُبلت في دم الإنسان المغربي ذاته، وأصبحت جزءًا من كيانه.

فلقد برع شعراء مغاربة كُثّر ممن نظموا في شعر الطبيعة إضافة للفنون الشعرية الأخرى، ولعل منهم الشاعرة الزناتية "أمينة المريني" . فكان للطبيعة دورًا بارزًا في مجاميعها الشعريَّة ، فلقد كانت أمينة المريني عاشقة لطبيعة المغربِ الساحرةِ الجذَّابةِ، فهي التي تسكن في بيت أنيق مع نباتها وأزهارها وكُتبها

(٢) الوصف في الشعر العراقي، د/جميل سعيد، مطبعة الهلال، بغداد ، ط١، ١٩٨٤، ص١٩١.

وصورها التي تعشقها كثيرًا. فلقد أجادت أمينة حين أنشدت مخاطبةً الطبيعة، والتي جاءت متمثلة في حديثها مع الوردة : [من المُتقارب]

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّهُ قَلْبُ شَـــا عِرٍ صَاغَهُ دُوْنَ مِثَالْ
تَجَلَّيْتِ فِي الصُبْحِ بِيْنَ الْغُصُوْنِ وَبَدْرِ السَّمَاءِ يَشُدُّ الرِّحَـــالْ
وَأَجَّجَ رَبِّي بِقَلْبِي هَـــوَاكِ فَهِمْتُ أَجُوْبُ الْفَضَـــا وَالْخَيَالْ
أُسَائِلُ عَنْكِ نُـــوْرَ النَّدَى وَنُوْرَ الرَّوَابِي وَنُـــوْرَ التِّـــلالْ
وَطَيْرَ الْفَضَاءِ الْطَّـــلِيْقِ الْسَّجِي وَمَاءَ الْسَّوَاقِي الْنَّمِيْرِ الْـزُلَالْ
وَفِي كُلِّ هذا تَرَاءَى شَـــذَاكِ وَفَاضَ عَلَى الْكَوْنِ مِنْكِ الْكَمَـــالْ
وَأَبْصَرْتُ فِيْكِ صَنِيْعَ إِلَـــهٍ صَانِعٌ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَـــمَـــالْ
فَمَا الشَّوْقُ عِنْدِي يَا وَرْدَتِـــي لِغَيْرِكِ أَنْتِ ابْنَتُ الْخَـيالْ[1].

تتحدث الشاعرة في هذا المُقتطف الشعري عن الجمال الكامل الذي يتجلى في الطبيعة ، إنَّه جمالٌ من صنع الخيال أبدعته موهبة الشاعرة؛ لتضفي على الجمال في الواقع لمسةً فنيَّةً تدعو الناس من خلالها إلى التَّأمل في ذواتهم وفي الطبيعة؛لعلّهم يدركوا فيهما الجمال الفطري.

هذه القصيدةُ وإن كانت بظاهرها موضوعًا بسيطًا، غير أنّها بداخلها سحر يتحدَّثُ عن جمال الطبيعة ، ورقتها، وانعكاسها على المشاعر، وكأنَّ الشاعرةَ ألبسها حلّتها النفسيّة فأتت بدلوها متغنيةً بجمال الطبيعة.

وبهذه التعابير الشفّافة واللُّغة التعبيرية تتبري الشاعرة أمينة المريني بالاقتراب من الطبيعة كرمز وحالة تخيُّل ، فالورد هنا هو "الأنثى" وأحلى كل الورود هي "الأنثى، فلأنثى هنا رمز للطبيعة الفاتنة والساحرة بهدوئها وجمالها وعطائها.

وقد نجحتْ الشاعرةُ أمينةُ المريني في تقريب المسافةِ الحسيَّة بين الورد والمرأة: فكلاهما معطاء ، فالورد الجميل ويعطي العطر، والأنثى منحها الله الجمال البدني كما أنَّ عطاءها الروحي أخّاذًا كما هو عطر الورد ، فأمينة تنقل للطبيعة وتكسبها الجمال الذي أحال ألحانها أنغامًا تشدو وتُغنّى،وقلقها الذي يساورها طُمأنينةً، والدمع الذي يُغالبها فرحًا، والفراق الذي مزَّق خِدر جمالها قُربًا.

---

(١) ديوان ورود من زنانة ، أمينة المريني ، ص ٣٧.

فقد وَجدت المريني في الوردة إنساناً ذا تجارب تتحدَّث بما جرى لها، فهذه الأبيات تمنحنا نفحةً جديدة للشعر المريني ،ودعوة حميمة للمشاركة في العواطف التي يُشعر بها المتأمّلُ لسحر الطبيعة ، وما يعتريه من رهبةٍ أو طربٍ أو إعجابٍ نحوها.

إنَّ الشاعرةَ تُريد أنْ تنقلَ إلى القارئ" المُتلقي" أحاسيسها بجزئياتها ووقائعها، وتجعل بعض مُعطيات الطبيعة سبيلًا إلى مشاركة وجدانها، وتصوُّر ذاتها.

لقد كانت المرأةُ صورةً من محاسن الطبيعة في شعر المريني، فالطبيعة تجد في المرأة ظلها وجمالها؛ ولذا كانت الحبيب عند الزناتية أمينة المريني روضًا وجنةً وشمسًا، وهكذا كانت العَلاقة شديدة بين جمال المرأة وبين الطبيعة فلا تُذكر المرأة إلا وتُذكر الطبيعة معها.

فالشاعرة تنظر إلى الطبيعة نظرة محبٍ والأبيات السابقة تمثل نفسيتها المحبّة التي يتوزعها جمال الطبيعة وجمال الإنسان.

وفي منعطفٍ آخَر فإنَّ الشاعرة أمينةَ المريني تنقل للطبيعة وتكسبها البؤس الذي أحال ألحانها أنينـــاً،والقلق الذي يساورها، والدمع الذي يُغالبها، والفراق الذي أرهق خدر جمالها، فلنسمعها وهي تأن في قصيدتها " الدار " : [من مجزوء المُتقارب]

تَقُولُ شُجَيْرَاتُ وَرْدٍ وَمِسْكٍ بَلَيْلٍ:

رَحَلْتَ

فَذَاكَ الَّذي يُعصرُ الْوَرَدَ سحْرًا

وَذَاكَ الَّذي عَلَّمَ الْطَّيْرَ عِشْقًـــا

وَبَوْحَا...

وَأَرَقّ قَلْبَ الْخَمَائِلِ

لَفْحًا وَجُرحَا ...[1].

ففي هذه النافذةِ الشعريَّةِ أتت الألفاظ في قصيدة أمينة المريني الرثائيّة بليغة التأثير، شديدة التصوير، وتميّزت اللغة بالحزن والشجن، ومحاطة بالاستعارات والصور الحزينة الكئيبة.

(١) ديوان ومنها تتفجر الأنهار ، أمينة المريني، ط١، منشورات وزارة الأوقاف والـشئون الإسـلاميّة ، الكويـت، ينـاير ٢٠٠٩م، المُحـرم ١٤٣٠ه، ص ٤٣.

لقد صبغت أمينة المريني قصيدتها بلونها الخاص النابع من الطبيعة الحزينة، فهي متصلة بمعطياتها ، ولقد جاء شعر الطبيعة عند أمينة المريني مُتصلًا بين تلك الموصوفاتِ الحزينةِ ، وبين نفس الشاعرة وعاطفتها، ومتمازجًا بين كثير منها وبين رؤيتها في الكون، وموقفها من الحياة .

ومن الملاحظ أنَّ الشاعرةَ توجه خطابها في نهاية المقتطف الشعري إلى شخصٍ حبيبٍ إلى فؤادها قد أواه الثري ، فكأنَّ بفقدانه أصبحت الطبيعة تأخذ صورة سوداويّة قاتمة تستحوذ على جميع الأشياء حولها ، وكأنّ كل ما يشير إلى متعلقاتها يشعر بالأسى، والشجن، والحنين الممزوج بالصبابة والحُرقة.

لقد وصفت أمينة المريني الطبيعة وصفًا دقيقًا، ورسمت من خلاله أجمل اللوحات الفنيّة الإبداعيّة ، فوجدت فيها المُلهم الذي يُمثل الحياة ومعاناتها ضـــمن ثنائيات:
(الموت / والحياة)، (الحركة / والسكون) (السعادة / والشقاء) ، فقد صورتها على نحو إنساني تملؤه الحركة والنشاط؛ فتشاركها الهم والحزن أو الفرح والسعادة بعدما بثتها شكواها.

إنَّ الطبيعةَ هي المعنى التي تتفجر منها شاعريَّةُ أمينةَ المريني، وفي أرجائها يطوف خيالها، إنَّها كائنٌ حيّ يحبَّها وتحبّه، يناجيها وتناجيه، بصحبتها تطيب الساعات، وبأفيائها تخلو رقائق العيش، وربما كانت صرخة أمينة المريني أصدق تعبير عن هياما بطبيعة وطنها الساحر.

ومهما تعددت الأغراض في الشعر في شعرها، فإنَّ الطبيعة تظلّ بارزة في شعرها، فإذا فرحت شاركتها حبورها، فهي مغرمة بأساليب البيان التي تستقيها من الطبيعة كموضوع لا ينضب: فالطيور قيان، وشدوها غناء، وعودتها موسيقى، والندى دُرر، والنور عقد والورق عطاء ، وتأكيداً على ذلك، تقول أمينة المريني: [من البسيط]

أيُّهَا الطَّائِرُ يَا صَوْتَ الرَّوَابِـــي وَالتِّلَالْ
رَجِّعْ الشدوَ شجيًّا وَانْفُــثْ الســــحْرَ الْحَـــلَالْ
وَارْشِفْ الجُرْحَ وَحَلِّقْ فِي سَمَاوَاتِ الْخَيَالْ [١].

[١] ديوان ورود من زناتة ، أمينة المريني ـــ ٧٤.

لقد نجحت الشاعرةُ في نقل أحاسيسها ومشاعرها إلى لوحة فنية مُشبعة بالفكرة المُنبثقة من ذاتها التوّاقة والعاشقة للطبيعة، فترى الشاعرة قد حولت عناصر الطبيعة إلى صور حيَّة تنبض بالحياة التي تحلُم بها .

يقول الدكتور أحمد عبد السلام شوقي ضيف رحمه الله: (١٣ يناير ١٩١٠- ١٣ مارس ٢٠٠٥م) " إنَّ الجمالَ الفنيَّ ما هو إلاّ إشباع لرغبات مكبُوتة، ويمكن أنْ نعدُّه حلم الفنان، فالفنُّ يتحوّل إلى تعبير جمالي ؛ لأنَّ الأمور التي تضفي عليه تعابير جماليَّة ليست في الحقيقة سوى مُميزات حلميَّة " [١].

لقد جاءت أبيات أمينة المريني مُنبثقة من نفسها المحبَّة والتَّواقة للطبيعة ، والتي ترى فيها كُلَّ شيءٍ جميلٍ ؛ لأنَّ الحُبَّ في حقيقته " هو الذي يجعل للمخلوقِ البشري وجودًا إنسانيًا حقيقيًا"[٢] . أو على حدِّ تعبير سارتر: " نحن نشعر بأنَّنا زائدون على الحاجة إلى أن يجئ الحُب فيجعلنا نهتدي إلى مُبررات وجودنا " [٣].

وهكذا تستمر الشاعرة في رحلتها مع الطبيعة، فلقد أخذت الطبيعة مأخذها من شعر المريني، فهي تشير في نص من نصوصها إلى المطر وكيف يلعب دورًا في الحياة ، لكنّـــه لم يغسل أدران البشر وآثامهم، تقول أمينة في قصيدة "بطاقة هُويَّة":[من الرجز]

هَا إِنّنِي أعلنت في الخلق انتسابي
إنِّي مِنْ الْغُرَبَاءْ.....
وَعَصَرْتُ مِنْ أَنْهَارِهِمْ
وَظِلَالِهِمْ
وَشِعْرِي
وَقَدْ خَتَمْتُهُ سَائِغَةَ الشَّرَابْ
وَأَجِيْشُ ضِدَّ الدَّجَنِ
وَالْأَشْوَاكِ وَالْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابْ ....[٤].

ترى الشاعرة هنا في المطر أفضل وسيلة لغسل هموم البشر ، فالارتباط هنا بين الماء والهموم البشرية: فماء المطر طبيعة ، والهموم مسألة إنسانيَّةٌ ، فهذا الربط يعكس

---

(٢) في النقد الأدبي ، د/ شوقي ضيف، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧ ، ص ٨٢،٨٣ .

(٣) سيرة الحُب والجمال في حياة العقاد ، د/ محمد عبد الواحد حجازي ، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية،٢٠٠٤، ص٤٧.

(٤) المرجع نفسه ، ص٥٨.

(١) ديوان ومنها تتفجر الأنهار ، أمينة المريني ، ص١٧.

حالة اليأس الذي يعاني منه الإنسان عنـــد حدوث نكبة ما حتى يبلغ به اليأس حالة القلق من خشية دوام سقوط المطر الذي يتحول لطوفان، لكنَّه مع هذا لا يستطيع غسل الهموم البشرية. إنَّ العالم الذي تصنعه لنا الشاعرةُ هنا هو عالم فيه يأس من قدرة الإنسان على قبول الآخر، و مخاطبته باللُغة الإنسانيّة .

وفي هذه القصيدة كلمات اســـتلهمـــتها الشاعرة من الطبيعة وصاغتها الشاعرة صياغةً متينةً البناء، وذات موسيقى تتـــمتع بإيقاع ذي نـــسيجٍ بارعٍ كما هي في (أنهار ، والأشواك ، والظلال) وهذا ما يدل على أنَّ الشاعرةَ أقامت معجمها الشعري على مفردات كثيرة كانت للطبيعة النصيب الأكبر في ذلك .

لقد أطلقت المريني في قصيدتها السابقة صرخة مُنبثقة من أعماق نفسها المُعذبة، وقد تجسَّدت هذه الصرخة التي بثّتها في نصها، والتي جاءت مُتلاحمة ومُتجانسة مع بقية الصور الأُخرى ، والتي تُشكّل في مجموعها ما يُسميه عبد الرحمن البدوي في كتابه في (الشعر الأوربي المُعاصر:) " بتناغم الطباع ، والذي تكوّن من انسجام الصور وتطابقه النمطي الناتج عن التنسيق المُوفق بيت التجربة التي يعيشها الشاعر"[١].

لقد رسمت أمينة المريني في نصها السردي صورة سلبية للشخصية المُغتربة، فانثالت مشاعرها المُحتدمة في نفسها ؛ لتسفرَ عن ألمها وحزنها ومُعانتها، " فالإنسان الشاعر منذ بدأ يضرب في الأرض قد حمل بين جوانحه ضروبًا من الإحساس بالاغتراب حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك الإحساس" [٢].

لقد حرَّكت الطبيعة في شعر أمينة دائرةَ العذابِ النفسيِّ ، فبعثت في نفسها أشواقًا لا تفتأ تقدح فيها منابع الأسى وتثير جذوة الأحزان ، فلنسمها وهي تقول:[من الخفيف]

يَا فُؤَادِي يَا أَسِيْرًا فِي غِيَـــابَاتِ الضُّـــــلُوعْ
أَنْتَ فِي أَسْرِكَ حُرٌّ لَا تَعِي مَعْنَى الْخُـــــنُـــوعْ
أَنْتَ فِي الْأَغْلَالِ لَا تَجْثُو وَلَا تَرْضَى الْخُضُوعْ
كَيْفَ تَدْرِي أَيُّهَا النَّاسِكُ مَا سِرّ الْخُشُـــوعْ
وَدِمَائِي لَكَ كَأْسٌ وَلُحُوْنٌ وَشُمُوعْ؟![١].

---

[٢] في الشعر الأوربي المُعاصر ، د/ عبد الرحمن بدوي، ط٢، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص٧٢.

[١] الحنين والغربة في الشعر الحديث، سميرة سُلامي، ط١، دار الينابيع، دمشق ، سوريا، ٢٠٠٠ ص٦٧.

لقد جمعت أسطر أمينة بين أفانين شتى من الإجادة ، ورفضها الاستسلام والخضوع، لقد أشركت الشاعرة الطبيعة في إحساسها بالرفض لهذه الصور السوداوية القاتمة التي فرضتها عليها الظروفُ.

لقد نجحت المريني في رسم صورة الذات المُعذبة من خلال الصورة الإيحائية التي ضمها النص الشعري الثري ، والتي وهبته الطبيعة قوة تفاؤلية على مواجهة الشدائد والصعاب .

فالطبيعة على حد تعبير بلاشير(١٩٠٠– ١٩٧٣): "لا تنقل لنا الاستجابة الانفعالية للشاعر فقط ، بل تنقل لنا الفكرة التي انفعل بها الشاعرُ نقلًا تصويريًا ، وتظهر فيه كنوع من التناسق الديناميكي، أو التوافق الجدلي بين الرمز والمعنى، وهنا تتحقق التجربةُ الجماليَّةُ ، وعندها يصلُ العملُ الأدبيُّ إلى جهةِ الإبداعِ " (٢).

لقد جاءت صرخة المريني صادقة وصادمة في الوقت ذاته، فهي ترد وبقوة على كُلَّ من سوّلت له نفسه ، ورأى فيها أنها لقمة سائغة المضغ، أو ريشة في مهب الريح تتقاذفها أينما تشاء ، لقد وظَّـفت أمينة المريني الطبيعة وأنماطها في نقل تجربتها الذاتية إلى مسرح التصوير؛" لأنَّ الصورة الشعريَّة في محاولتها نقل التجربة باعتبارها خلْقًا فنيًّا جديدًا للواقع من خلال اعتمادها على دالات بنائيّة تقوم على التناسب والتقارب فيما بينها ، وتستمد وجودها من موضوعات حيويَّة يعيشها المُبدع ، ويجسد تجربته من خلالها؛ فيتصل بها من مستويات ادراكات تعتمد على الادراكين {الحسِّي والعقلي}، ولعلَّ الإدراكَ الأوّلَ هو الذي يُسيطر على مُجريات التصوير الفنيِّ أو الشعريِّ لدى الشعراء عند نقلهم لتجاربهم الذاتيّة" (٣).

وفي حالة من حالات الهَمِّ النفسي الذي يشعر به المرء حاولت الشاعرة أنْ تبدد الآلام في هذا الجسدِ النصيِّ، ونلاحظ قدرتها على مواجهة يأس الطبيعة الظمأى، والريح العاتية التي تعصف بآمالها ، ونراهـــا هنا ومع كل ذلك متأملة لما يجري حولها، فهي تحاور الطبيعة بسطور سهلة سريعة الولوج إلى نفس القارئ .

---

(٢) ديوان ورود من زناتة ، أمينة المريني ، ص ١٢٧.

(٣) حدس اللحظة ، جاستون بلاشير ، تعريب وترجمة: رضا عزوز، وعبد العزيز زمزم، دار الـشئون الثقافيـة العامـة، بغـداد، العـراق، ١٩٨٦، ص٨٢.

(١) القارئ والنص والعلامة الدالة ، سيزا قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ٢٠٠٢، ص ٨٠ .

إنَّ أمينة المريني وهي في أحلك الأمور، وأصعب المواقف، وأشد الأزمات ؛ تُغنّي للحياة بوجدانٍ صافٍ وروح نبيلة؛ فجات أشعرها العذبة أشبه بسنفونيّة فنانٍ مبدعٍ فاسمعها إذ تقول: [من المُتقارب]

تُدَاعِبُ طَرْفَ الْوَرْدَ الْعَلِيلْ
وَكَانَ لَنَا الْوُدُّ أَحْلَى
وَأَحْرَى...
وَأَنْتَ الَّذِي شِدْتَ بِالدَّارِ
حُلْمًا وقصرَا ...

***

وَتَزْرَعُ- فِي السَّهْوِ – قفرًا...
وَتَحْصِدُ حَفَنَاتِ رِيْحِ
وَلَفْحَةَ شَمْسٍ
وَوَخزَ الْصَّقِيْعِ
وَوَسْوَسَاتِ الوُرْقِ بَيْنَ الْغُصُوْنِ
وَتَحْمِلُ فِي الكَفِّ شَمْسًا
وَبَعْضَ قُشُوْرٍ
وَبَدْرًا...[1] .

والمُلاحَظ في هذا المقتطف الشعري أن الطبيعة تشارك أمينة المريني في حزنها وفرحها، فهي تُفعل الطبيعة بكافة وجوها .

لقد جاءت ألفاظ الطبيعة مُعبرة عما يدور في خُلد الشاعرة ، فهي تحاور الطبيعة بسطور سهلة سريعة التفاعل والوصول إلى نفس القارئ " المُتلقي"، والذي بدوره يتفاعل معها ويشاركها انفعالاتها .

ففي هذه القصيدة وردت الألفاظ ودلالات الطبيعة مثل:

الشجر: ويقوم المطر بغسلها حيث تبدو أجمل ما تكون عليه الأوراق والثمار- لكن لا يمكن غسل خطايا البشر ؛ فتلك الخطايا والذنوب لا تُغسل بالماء .

الريح: وهي الفواجع القادمة .

(١) ديوان ومنها تتفجر الأنهار ، أمينة المريني ، ص٤٤، ٤٥.

القمر: هو جذوة السهر وباعثه الجميل ، وهو رفيق أهل العشق في سمرهم، فهو يتوسط كبد السماء بضيائه، فيشق عباب الظلام بنوره

ولفحة الشـّمس : للدلالة على حرقة البـُعد عن الحبيب .

ووخز الصقيع : البعد عن أحضان الحبيب الدافئ .

لقد استعارت الشاعرة من قاموس الطبيعة مُفْرَدة "نهر" وحمَّلها بشِحْنات إشارية وترميزية، وفعلت الشيء نفسَه مع مفردتي " الشمس" و "البدر"، وتجدر الإشارة إلى أن النهر يرمز عند أهل المحبّة من المُتصوفين، والتي تنتمي الشاعرة إليهم إلى رحلة السالك نحو الذات الإلهيّة.

ويبقى الريح أهم رموز هذه القصيدة وأشدَّها ارتباطا بمعناها، وقد وُفِّقت المريني في استخدام هذا الرمز، ثم إنها استعملت كملة "ريح"، ولم يستعمل كلمة (رياح)؛ لأنّها كانت مُدركةً تمامَ الإدراك، الفرقَ الجوهري بين المفردتين. "فالريح" وردت في القرآن الكريم" تسع عشرة مرّةً " ١٩ مرةً معظمُها بمعنى الدمار والعُقم، و"الرياح" وردت فيه (عشر مرّات) ١٠ مرات كلها بمعنى الخير والإمْراع والوفرة والكثرة، وقد عُرِفَ عن النبي {صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} أنّه كان يتعوَّذ عند رؤية الريح ويرتجف، واستعمالُ أمينة المريني **الريحَ** دون الرياح دليل واضح على مدى تضلّعها في العربية، وعلى مدى معرفتها بأسـرارها و دقائقها .

يقول سعد الدين كُليب عن رمزية الريح في الشعر العربي الحديث: "فيما يخص رمز الريح في شعرنا الحديث، يمكن القول إنَّ: هذا الرمز قد شاع بشكل لافت للنظر في ذلك الشعر، حيث لا يكاد الدارس يجد شاعرًا حديثًا واحدًا لم يكن له موقف جمالي من الريح بوصفها رمزًا، وبوصفها حقيقة أيضًا. ولا غَرو في ذلك، إذ إنَّ الريح من النماذج البدْئيّة التي تشكل قِوام اللاشعور الجَمْعي للجماعة البشريَّةِ ، وذلك بوصفها رمزًا للدمار والخراب "[١].

لقد ألقت عاتكة بأحزانها وهمومها في أحضان الطبيعة ، فبعثت آلامـها مـن الليل مستـودعا لأسرارها وهمومها، فالتفتت إلى الطبيعة وأدخلتها في نسـيـج الفكرة العامة عن الحيـاة وشكواها الصارخة بما تعانيه من ألم وحرمان ، فمالت نحو التأمل والعبرة .

---

[١] جمالية الرمز الفني في الشعر الحديث ، د/ سعد الدين كُليب ، مجلة "الوحدة"، الدار البيضاء، المغرب ، العدد ٨٢، ١٩٩١، ص٤٥.

فالطبيعة حزينة كئيبة حين يكون الشاعر كذلك ، وهي ضاحكة راقصة مُتبعَةً لحالته النفسية على هذا " لا يصبح للطبيعة وجود مستقل عن ذات الشاعر، وإنّما هو هناك توحد وامتزاج عامل بينهما ، وهذا ما يشير إلي ملامح رومانسيَّة واضحة "(١) .

الطبيعة في شعر أمينة المريني المدحيّ :

تُعتبر أمينة المريني شاعرة الطبيعة بدرجة عالية، فلقد وظَّفت الطبيعة حتى في شعرها المدحي، فهي استعانت بعناصر الطبيعة لمدح ممدوحها ، ففي قصيدة (عودة العز)، والتي مدحت فيها الأمير الشاعر (خالد الفيصل) ، وشبهته بالطبيعة الضاحكة المُضيئة فجعلته كالشمس والشهبا: [من البسيط]

فَوْقَ الْخُيُولِ عَلَوْتَ الْمَجْدَ مُنْتَصِبًا تَضُمُّ فِي خَافِقيكَ الشَّمْسَ والشُهبا(٢) .

ثم ذهبت في تعظيمه إلى جعله نبع المجد بحيث إنّ المجد يأخذ مجده منه واستمرت على تمجيده وتعظيمه حتى أوصلته إلى أقصى درجات الرفعة فلامس السماء والنجوم والكواكب:

تَمَنْطَقَ العزُّ وَالأَمْجَادُ وَاشْتَعلَتْ فِي مُقْلَتَيْه جُيُوْشُ الْعَزْمِ إذْ وَثَبَا
يَشِيلُ تَحْتَ عِقَالِ الْمَجْدِ كُوفِيَةً حَمْرَاءَ عَانَقَتْ الْأَفْلَاكَ والسُحُبا(٣).

وفي موضعٍ آخَر تقارن فيه الشاعرة بين الطبيعة الجميلة الجذَّابة، ومخلوقاتها وبين الممدوح: [من البسيط]

يَا فَارِسَ الْعُربِ لِي فِي الحُلْمِ مُتَّسَعٌ مِنْ نُورِ قَلْبٍ يَرَى فِي الْحُلْمِ مَا احْتَجَابَا
يَرَى السَّلَامَ الَّذِي تَثْنُو أَزَاهِرُهُ عِطْرَ المَحَبَّةِ لَا ظُلْمًا وَلَا لَهَبا
يَرَى الجَمَالَ لِدَى الْإِنْسَانِ جَوْهَرَهُ أعْظِمْ به في العُلَا ذُخْرًا وَمُكْتَسَبَا(٤).

فالشاعرة تنظر إلى الطبيعة نظرة محبٍ ،والأبيات السابقة تمثل نفسيتها المُحبّة التي يتوزعها جمال الطبيعة وجمال الإنسان.

وفي إنوذجٍ آخرٍ قد استعانت شاعرتنا بعناصر الطبيعة لمدح ممدوحها؛ فجاءت أبيات قصائدها مزيجًا من اكساب ممدوحها مُعطيات الطبيعة الحيّة" كالأسد والخيل، حيث

---

(١) الطبيعة في الشعر العراقي الحديث في النصف الأول من القرن العشرين ، رسالة ماجستير، حسن عبود حميد، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العراق ، ١٩٨٤ ، ص١١٠ .

(٣) ديوان ومنها تتفجر الأنهار ، أمينة المريني ، ص ٨١ .

(١) ديوان ومنها تتفجر الأنهار ، أمينة المريني، ص ٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

شبهته بنعوتهما، والتي تحمل في طيّتها صفات القوة واقتحام الأهوال والصعاب؛ فمنحته قوة الأسد وجأشه وجرأة الخيل وقوّة تحمله وإقدامه ، فتقول [من البسيط] :

إنّي لَألْمَحُ فِي وَقْدِ المَـدَى أَسَـدًا مِنْ عَيْضَةِ الْحَقِ مَرْجُوًّا وَمُـرتَقَبا
فِي صَـافِنٍ مِنْ خُيْـوُلِ اللهِ مُنجردٍ لَمْ يَشْكُ فِي عَبْرةِ رُمْحًا ولا نَصَبَا[١].

لقد أتت ألفاظ المريني المدحية بليغة التأثير، شديدة التصوير، وتميَّزت بالرقة محاطة بالتشبيهات والصور، فهي تستمد ألفاظها من الطبيعة، وتعطيها للممدوح كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح والمطر والغيم والنسيم والمراعي والخيل والأسد ،... والشواهد الشعريَّة كثيرة على ذلك، فهي لم تذكرْ صفة مدحية إلَّا وكانت مُتعلقة أو منعوتة" موصوفة" بالطبيعة؛ فإذا بالزناتية أمينة المريني" **تُلقّب**" بشاعرة الفطرة والطبيعة" .

أنْسَنَةُ الطبيعة في شعر أمينة المريني:

إنَّ المتأملَ في أشعار أمينة المريني يلاحظ أحيانًا أنها تقوم بأنسنة الطبيعة، فتلبسها ثوبًا إنسانيًا؛ حتى تصبح عنـدها كالإنسـان :(يأكل – ينام – يلوم – يتألم)، مضيفةً عليها ملامح نفسها المتعبة والقلقـة، سائـرة في ذلك على طريقة الرومانسيين .

ويقول الباحث (هيثم كاظم صالح) عن أنسنة الطبيعة: " الشاعرُ هنا يَهِبُ الوجود بما يمثله من طبيعة إنسانيَّة الإنسان بأعمق مديتها محولًا ماديـاتها إلى معنويَّة تغور في أعماقه، فهو يواكب الشعراء الذين يلـقون على الطبيعـة السـاكـنة مشاعرهم فهي شاخصة " [٢] .

إنَّ ذلك التفاعلَ الحاصل بين الشاعرة وبين المشهد الطبيعي يزيد من حيوية شعرها وقدرته على التأثير؛ لأنّه يكون أكثر صدقًا في الإثارة وفي البناء والصياغة، فالمريني لم تتخذْ الطبيعة لذاتها مكتفيةً بوصفها ونقل محسوساتها الخارجية فحسب، ولكنها اتخذت من الطبيعة بمُعطياتها ومظاهرها ومباهجها عنصرًا مكملاً ومُتفاعلًا مع أشياء أُخَر، فلم تتخذها مسرحًا أو مكانًا للحدث وإنَّما جعلتها جزءًا منه، فأنطقتها وطبعت

(٣) المصدر نفسه ، ص٨٢.

(٢) دراسة المضامين والبنى الشعرية والجمالية في شعر مجيد الموسوي ، رسالة ماجستير ، هيثم كاظم صالح ، كلية التربية ، جامعة البـصرة ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، ١٤٢٩ هـ ، ص٦٧ .

عليها نعوت إنسانيَّة ومنحتها حواسًا آدميّة ، فهي ترى وتسمع وتتذوق وتتلمس وتحس، وهي تبتسم وتحزن وتفرح وتأنُّ.

والأنسنة للطبيعة بشقيها الجامد والمتحرك: فالشق الجامـــد منها كالنجوم والسراب وما شابه ذلك ، وأمَّا الشقُّ المتحركُ فهو الطيور والخيول، وما إلى ذلك من الكائنات غير البشريَّة ، وهذا ما سنلاحظه في أشعار المريني ، والتي أبدعت حين قالت في قصيدة العذراء : [من المُتقارِب]

أَعَـــذْرَاءُ مَا أَنْتِ ؟ جِنِيــةٌ أَمْ إِنْسِيَّةٌ مِنْ بَدِيْعِ الْخَيَالْ؟
أَمْ أَنْتِ مَلَاكٌ مِن السَّمَاءِ اللَّطِيْفِ وَنَدِّ الْبُذُوْرِ وَتُرْبِ الْهِـــلَالْ
نَصَبْتِ الشِّبَاكَ لِقَـلْبِـي الْفَتِــيِّ بِسِحْرِ الْخُدُوْدِ وَفَرْطِ الْـدَّلَالْ
وَمِنْ نَاظِرَيْكِ تُبْدَى الْحَيَـاةُ فَكَانَ الْسِّيُوْفُ وَكَانَ النِّبَـــالْ
تَجَلَّيْتِ فِي الْصُّبْحِ بَيْنَ الْغُصُـوْنِ وَبَدْرِ الْسَّمَاءِ يَشُدُّ الرِّحَـــالْ
أَسَائِلُ عَنْكِ النَّسِيْمَ الْـنَّدِيَ وَنُوْرَ الرَّوَابِي وَنُوْرَ التِّلَالْ
وَطَيْرَ الْفَضَاءِ اللَّطِيْفِ الْشَّجِيِّ وَمَاءَ الْسَّوَاقِي الْنَّمِـــيْرِ الزُّلَالْ
فَمَا الْعِـشْقُ عِنْدِي يَـــا وَرْدَتِـــي لِغَيْرِكِ أَنْتِ ابْنَتَ الْجَمَالْ(١).

تحمل القصيدة عنوان: "العذراء" والذي يحيل تركيبيًا نحويًا على جملة اسمية، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: "هي"،أو بدل مطابق (كل من كل) تقديره " هذه العذراء" ، ودلاليًا يُوحي بأنَّ الشاعرة تصورت الجمال في العُذريَّة وهي الفطرة.

تحضر عدة ألفاظ في القصيدة تحيل إلى الطبيعة هي: السماء/ البذور/ الهلال/ الصبح/ الغصون/ بدر السماء/ الفضاء/ الجبال/ النسيم الندي/ نور الروابي/ نور التلال/ طير الفضاء/ ماء السواقي/ يا وردتي.

والمُلاحظ في هذا المقتطف الشعري أنَّ الشاعرةَ تتحدث عن الوردة ، والتي هي رمز الجمال، فإنِّها سريعة التأثر بالعوامل الخارجية، فهي تفسد لأدنى سبب مثلها مثل العذرية، فالعَلاقة بينهما هي عَلاقة إيضاح وتكامل ؛ كأنَّ الشاعرةَ تريد أن تقولَ: تأملوا الجمال الإنسانيَّ كما تتأملوا الجمال الطبيعيَّ.

تُخاطب الشاعـــرة الوردة، والوردة طبيعة حاولت الشاعر أنسنتها ، ففي البيت الرابع

---

(١) ديوان ورود من زناتة ، أمينة المريني ، ص ٣٧

وَمِنْ نَاظِرِيْكَ تُبْدَى الحَيَاةُ فَكَانَ السُيُوفُ وكَانَ النِّبَالْ

شبهت الشاعرة الوردة بالعيون، ثم شبهت أوراق الوردة بالرموش؛ لتصورها كالسيوف والنبال تقتل كل من ينظر إليها، فتجعله بلا حياة، ولا يسترد حياته إلا بامتلاك الوردة

وفي قول الشاعرة: **تَجَلَّيْتِ فِي الْصُّبْحِ بَيْنَ الْغُصُـوْنِ وَبَدْرُ الْسَّمَاءِ يَشِدُّ الرِّحَـــالْ**

أنسنة واضحة للطبيعة ومُعطياتها فقولها: "بدر السماء يشد الرحال" انزياح عن اللغة المألوفة، فالبدر لا يشد الرحال، وإنما هو كوكب مرتبط بالزمن: زمن الظهور في الليل، وزمن الغياب في الصباح. وعبرت الشاعرة عن زمن الغياب في الصباح بـــ"شد الرحيل" وفي ذلك انزياح عن المألوف.

وفي "بدر السماء أنسنة واضحة، فقد شبهت الشاعرة بدر السماء بإنسانٍ بجامع التنقل والحركة لدى كل منهما، وحذفت الإنسان وأبقت على شيء من لوازمه، وهو "يشد الرحال" على سبيل الأنسنة

وقولها: **وَفِي مُقْلَتَيْكِ سِمَاتُ الجُهُودِ وَعِشْقٍ لِخِلٍ بَعِيْدِ المَنَالْ**

جعلت الشاعرة للوردة "مقلة" بمعنى عينا تبصر بها، وهذه العين بها علامات السهر والأرَق لم يغلق لها جفن؛ لأنَّها عاشقة، وفي كل ذلك انزياح عن اللُغة المألوفة إلى اللُغة المجازيَّة وأنسنة للطبيعة.

لقد توحَّدت نفس الشاعرة مع نفس الطبيعة توحُّدًا ثابتًا، وجعلت من صورها أشخاصًا حيَّةً، تتمتع بميزات إنسانيَّة، وهذا الاندماج الموحَّد يظهر بصورةٍ واضحةٍ عندما تربط بين الطبيعة والمرأة، فقد أهدت صفات تتعلَّق بالروح لمن لا روح له ؛ وذلك لإحياء جمال الطبيعة في عيوننا من جهة، وللتأثير بها من جهة أُخرى.

يظهر من خلال هذه الأمثلة أنَّ الشاعرة عملت على تشخيص "الوردة"، ونعني بالتشخيص إضفاء صفة الأشخاص على الجماد أو على الأفكار؛ لكي تخـــاطبها الشاعرة وتشاركها في عملية التحاور معها، واتبعت الشاعرة هذا الأسلوب في قولها: "أعذراء" فقد جعلتْ الوردةَ عذراءَ، وأضفت عليها صفة العذريِّة، وهي خاصة بالإنسان(المرأة)، وفي قولها: "نصبت الشباك .. بسحر الخدود وفرط الدلال" جعلت الوردة صيَّادًا نصب شباكه ، وتمكَّن من اصطياد الشاعرة ؛ فأصبحت محبة للجمال.

قد تمكنت الشاعرة أمينة المريني من وصف الطبيعة وأنسنتها حيث إنَّها وهبتها السحر والجمال والاحساس الراقي.

فالجمال من القيم النبيلة المُتجسدة في الوجود كله سواء كان: إنسانًا، أو جمادًا، أو حيوانًا أو فكرةً أو غير ذلك، فلا يخلو شيء في الوجود خاليًا من قيمة الجمال.

لعلنا مما سبق أدركنا ما أوحت به الطبيعة للشاعرة " أمينة المريني" ، فقد كانت بمثابة المرآة العاكسة لصورة الإنسان " الأنثى" ، والتي تمثل لها موطن العشق والنقاء، وقلبًا حيًّا ينبض حبًا ويتنفس عشقًا ، وليس مجرد نبضات، فهي المُتنفس عن أحزانها وأوجاعها ومحنتها ، وفي ذكراها وسيلة للتعبير عن عواطفها ومشاعرها المُغتربة التي تُعاني التمزق الروحي بين ثُنائية:(الطبيعة والمرأة) .

وتستمر المريني في رسم أنسنتها للطبيعة ، من خلال صورها الإيحائيَّة التي ضمها نصها الشعري الثري ، فقد نقلت الطبيعة انفعالات الشاعرة بعد أنْ ادمجت ذاتها فيها ، فهي لم تعد وحيدة بل هناك من يشاركها مشاعرها ويشاطرها أحلامها .

وكأنَّ الطبيعةَ صارت الوسيلةَ للتعبير عن مشاعرها الذاتيَّة والإنسانيَّة التي تحاول من خلالها أنْ تبرز انفعالاتها وعواطفها وأحاسيسها ٠ ولأنّ " الشاعر إنسان يتكلم إلى الناس؛ ولتحقيق تلك الغاية لابد أنْ يمتلك الوسيلة المُناسبة للتأثير في عواطف المُتلقِي وعقله ، ولأنَّ ما يقوله من شعر مُرتبط بالكيان الداخلي والنفسي لكل إنسانٍ ، فهو في كُلِّ عمل فنيٍّ يصطنع نفسه من جديد " [1].

وقد لا نُغالي إذ قلنا إنَّ: أمينة المريني من الشواعر المتميزات بارتباطهم بالطبيعة التي تحمل طابعها الذاتي والنفسي ؛ لذا كان نتاجها الفني هو نتاج شخصية الفنان الذي يُعبر عن عواطفه ومشاعره.

لقد كانت أمينة المريني تُهيب بالطبيعة: ناطقة وصامتة، وحيّة وجامدة، أنْ تشاركها في بثِ مشاعرها ، وتشاطرها انفعالاتها ، وتهتم بأحوالها ؛ لنتقل من خلالها مُعناتها النفسيّة إلى المُتلقي الذي يقف أمام هذه الدلالات المُعبِّرة عن ذاتها المُعذبة .

ففي قصيدة " الليل " تُقدم الشاعرة لوحة فنية رائعة تحمل دلالات عدّة تكشف عن الامتزاج الروحي بين الشاعرة والطبيعة، فلنسمعها وهي تشدو بصوت عذب في قصيدة " الليل":[من مجزوء المُتقارب]

---

[1] الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزا بيث دور ، ترجمة: د/ محمد إبراهيم الشوش، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٦١، ص ٣٨.

شربتُ الوَجَعَ أَلْوَانًـــــا وَآهَــات وَأَحْزَانــا
يَرَى لَيْلَى لَهُ وَهَنـــــَا وَأَنهَارًا وَبُسْتَانا
وَأَشْعَارًا يُضِيئُ بِهِ تخُوْمَ اللَّيْلِ سَهْرَانـــــا
وكَاسَاتٌ مُعَاصِــــرَةٌ أَغَارِيْدًا ورَيْحَـــانــــا
يَجُوْبُ عَلَى هَوَى لَيْــلَى بحَارَ الشَوْقِ هَيْمَـــــانــَا
سَأَلْبِسُ فَي هَوَى لَيْلَـــى نُجُوْمَ اللَّيْلِ وَلْهَانَا(١).

والمُلاحظ في هذه الأبياتِ أنَّ الطبيعة تشارك أمينة المريني في حبِّها وولها وفرحها وحزنها، فتتفاعل الطبيعة بكافة عناصرها مع الموصوف ؛ لتصبح الحبيبة هي الطبيعة جمالًا وحسنًا وأنوثةً.

ففي هذا المُقتطف الشعري نرى المريني تمزج بين ذاتها والطبيعة ، والتي نجحتْ في استنطاقها فكانت ذات حسٍ وإدراك تخاطبها وتُناجيها مستوحيةً منها المشاعر والأفكار والعبر، فللطبيعة سحر خاص في شعر المريني، فتارة تهيم البحار وتبكي الأزهار والريحان بماء الندى إشفاقــًا ومشاركةً لها في حزنها، وتارةً تشاطرها النجوم والتي هي عالية مثل همتها سهرها وولعها وحيرتها وقلقها تجاه محبوبها، وأخرى تجعل أشعارها أزهارًا تزدهر وتبتسم ،أو نجومًا تُضيئ لها ليلها الساهر العاشق.

فالنص يسمو بالمُتلقي في أجواء الأفق والخيال ، ويجعل يعيش ويكابد أحوال العاشقين ومعاناتهم ، ويقدم لنا سنفونيَّة فنيَّة في غاية البراعة والجمال؛إذ أنَّ الشاعرة ربطت في هذه الأبياتِ بين عَلاقتها العشقيَّة والطبيعة ، فجات مُعبرة عن مشاعرها وأحاسيسها ، بأسلوب تُحاكي وتُداعِب مشاعرَ المحبوبِ.

لقد أبدعت المريني في مشاركتها وأنسنتها للطبيعة ، فهي مُتنفسها الرحب الذي يحتوي كُل آلمها وشجونها ، فهي تسمع شكواها وقد " تعددت أصباغ الشكوى لتتعدد معها أصباغ الصور الطبيعية التي تلونت بها فقد يُعاني الشاعر من الآم الغُربة ، أو من الدهر وصروفه،وأحيانًا يشكو حتى من الحبيب ومن آلام الشوق وتباريح الهوى"(٢).

(١) ديوان عاشقة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١١ م، ص ٩٣.
(٢) في الأدب الأندلسي ، د/ جودت الركابي ، ص ١٨٩.

لقد نجحت المريني في رسم صورة الذات الإنسانيَّة التي تنادي الأحبَّة وتشكو لها طول الليل، وأنَّ : " طول الليل أو قصره يُقدم لنا وصفًا ضمنيًا لحالة الشاعر النفسيَّة، وهو يمثل حالة السكون والهدوء إذ تراود الإنسانَ في إثنائه الذكرياتُ والتجاربُ التي خاضها في حياته" [١].

ولقد تعاملت أمينة المريني مع الليل في هذا النص على أساس:" التأثير والخوض في أعماق المشاهدات الحسيِّة؛ لتستجلي ما وراء الأشياء صور عالمها النفسي ، عالم المشاعر والأُمنيات ، عالم البحث عن الأمثل والأفضل"[٢].

فالليل " في إطار الزمن النفسي يكون مُتعدد الألوان والسمات [٣] ، ويرى أبو منصور الثَّعالبي (٣٥٠- ٤٢٩هـ/ ٩٦١- ١٠٣٨م) أنَّ: " العرب تُميز بين ليل الراقد وليل المُحب فتقول: ما أقصر الليل على الراقد أمَّا ليل المُحبِ بلا آخِر، فالشاعر الخالي الهموم يظن الليل قصيرًا والحزين يظنه طويلًا "[٤].

---

[٣] الزمن عند شعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، ١٩٨٦، ص٢٧٣.

[١] الليل في الشعر الجاهلي، خليل راشد فالح، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا،١٩٨٢ ، ص٥٣٢.

[٢] المرجع نفسه، ص٥٣٩.

[٣] التمثيل والمُحاضرة ، أبو منصور عبد الملك بن مُحمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد ، مطبوعات دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، مصر ، ١٩٦١، ص٥٩.